قراءة في جغرافية المذهب المالكي بشبه الجزيرة العربية

الدكتور يوسي الهواري كلية الحضارة الإسلامية والعلوم الإنسانية

جامعة وهران

تمهيد

إن المتأمل في مسيرة الفقه الإسلامي لا يلبث أن يشد انتباهه ظاهرة فريدة ومتميزة تخص المذهب المالكي، وهذه الظاهرة هي سعة انتشار المذهب المالكي وترسخه في المناطق التي دخلها على الرغم من مزاحمة بعض المذاهب الفقهية له، فلقد تمكن المذهب المالكي من اكتساح مناطق شاسعة من العالم الإسلامي كنتيجة حتمية لما يعرف بالرحلة إلى الحواضر العلمية فبعد عودة الذين رحلوا لطلب العلم إلى بلادهم بدأت فكرة انتشار المذاهب الفقهية عامة والمذهب المالكي خاصة، فكثر أتباع الإمام مالك وانتشروا في البلاد الإسلامية انتشارا واسعا حتى استحوذ هذا المذهب على حيز كبير من الساحة الفقهية آنذاك، ولقد ساعدت مجموعة من العوامل على هذه الهيمنة الفقهية إن صح التعبير منها:

1-شخصية الإمام مالك:

لقد كان لشخصية مالك بن أنس – صاحب المذهب – المتميزة أثر بالغ في إقبال الناس عامة على مذهبه، فكان المعروف عنه الكرم ومحبة الناس والتواضع والحرص على الخير والزهد في ما أيدي الناس عامة والولاة خاصة ... إضافة إلى تهيبه الشديد للفتوى وتحريه الشديد لما ينقل ويرويه من حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – وإقباله على ما ينفع وتركه خلاف هذا، مع ما عرف عنه من توقير حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ومما ساعد على نمو هذه العلاقة تفسير العلماء لحديث النبي صلى الله عليه وسلم يُوشِكُ أَن **يَضرِبَ النَّاسُ أَكبَادَ الإِبِلِ يَطلُبُونَ العِلم فَلاَ يَجِدُونَ أَحَداً أَعلَمَ مِن عَالِمِ المَدِينَةِ** فقد قال العلماء أن مالكا بن أنس هو المقصود بالحديث، وكان هذا التفسير بمثابة الحجة الشرعية الدالة على مبلغ علم الإمام مالك، وهذه الميزة لا تتوفر لأي مذهب من المذاهب الأخرى.

2- تأثير التلاميذ والأتباع:

رزق الله مالكا بن أنس البركة في التلاميذ والأتباع ما لم يرزقه إمام من الأئمة الآخرين، فلقد عُدَّ تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم بأزيد من ألف وثلاثمائة عدد السيوطي منهم أزيد من تسعمائة رجل بأسمائهم وألقابهم وأنسابهم وبلغ بهم الألف، وطبيعي أن ينشر هؤلاء التلاميذ علم أستاذهم و يدافعوا عن علمهم، زد على هذا ما تمتع به تلامذته وأتباعه من هيبة قوية ومحبة لدى الناس مكنتهم من كسبهم – خاصة العامة – والتأثير فيهم : فلما أراد محمد بن مقاتل العكي – وكان واليا – ضرب البهلول بن راشد – الفقيه المالكي – رمى الناس أنفسهم عليه حماية له من السياط.-

3- دور قافلة الحج في التلقي على مذهب مالك:

يعتبر الحج مؤتمرا سنويا يجتمع فيه المسلمون من كل الأقطار لأداء فرض الله الذي افترضه عليهم ثم يعرجون إلى المدينة لزيارة قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – والصلاة في مسجده وكما كان يصاحب قافلة الحج من التجار الذين يتاجرون كما كان يصاحبها جمع من الطلبة الذين يطلبون العلم في مكة وفي المدينة وفي غيرها من الأقطار، وفي المدينة لا يجدون أشهر من عالمها :مالكا ليأخذوا العلم عنه فيلازمونه ويتعلمون منه ثم يعودون لبلادهم ينشرون مآثر مالك وعلومه فيمهدون الناس لحبه وتقبل آرائه الفقهية خاصة.

4- التزام السلطة السياسية بمذهب مالك:

كان هذا العامل نتيجة للجهود التي أثمرتها العوامل السابقة ولولاها لما كان لهذا العامل كبير أثر في التزام السلطة بالمذهب المالكي والدليل عليه ما صنعه الفاطميون الذينحاولوا فرض مذهبهم على الناس فحاربوه وناصبوه العداء.

أولا: انتشار المذهب المالكي بالحجاز واليمن:

قال القاضي عياض :" فكانت المدينة كلها على ذالك الرأي **(المذهب المالكي)** وخرج منها إلى جهات من الحجاز واليمن .. واستقر في بلاد العراق بالبصرة, فغلب عليها بابن مهدي المتوفى 198 والقعنبي المتوفى 221وغيرهما ثم بأتباعهم ... وآل حماد بن زيد إلى أن دخلها بعض الشافعية فتشارك المذهبان جميعا...ودخل أيضا من أئمة هذا المذهب إلى بلاد فارس القاضي أبو عبدالله الرنكاني, ولي قضاء الأهواز وانتشر عنه هذا المذهب, وغلب على بلاد فارس مذهب دواد."[1]

ومن الطبيعي جدا أن ينتشر المذهب المالكي بالحجاز ففيها تفجر فلم ينازعه بها غيره، وظل الوضع على هذه الحال إلى أواخر القرن الثامن يدل على هذا كلام ابن فرحون في الديباج:" فغلب مذهب مالك رحمه الله على أهل الحجاز...إلى وقتنا هذا." [2]

ومما يدل على أن الغلبة كانت للمذهب المالكي أن ابن جبير ذكر في رحلته أن قدوة الحاج في النفر الإمام المالكي رغم وجود الأمير العراقي الذي بصحبته رئيس العلماء وهو أصبهاني شافعي. [3]

وقد بدأ المذهب الشافعي يزاحم المذهب المالكي بقوة بالحجاز عندما بدأت بنصرته الدولة الأيوبية، ثم دولة المماليك، وزاد انتشاره عندما صار الأشراف من أتباعه حتى غدا مساويا

---

[1] القاضي عياض: ترتيب المدارك 23/1.
[2] ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب 61/1.
[3] في رحلة ابن جبير 160-161.

للمذهب المالكي، وقد ازدادت قوة المذهب الشافعي وصار هو المقدم في بعض الصلوات: فقد ذكر العياشي في رحلاته عام 1076 أن المقدم في الصلاة في مكة الشافعي إلا عند ضيق الوقت للمغرب فيقدم الحنفي، وربما تقدم بعض المالكية في بعض الأوقات ليصلي بالناس لتعذر غيره، فيصلي على هيئة الشافعي من الابتداء بالبسملة. [4]

أما اليمن فقد ذكر القاضي عياض أن مذهب مالك انتشر فيه بأبي قرة القاضي، لكن سرعان ما ضعف مذهب مالك بها لكثرة الدول غير السنية التي توالت على اليمن، ومع أن المذهب الزيدي كانت له الغلبة إلا أن المذهب الشافعي السني أخذ في الانتشار حتى غلب على اليمن، ويرجع بعض الدارسين اضمحلال المذهب المالكي باليمن إلى مساندة الدول التي توالت على مصر والحجاز للمذهب الشافعي، واتباع أشراف الحجاز للمذهب الشافعي، زد على ذلك الأوقاف التي أوقفها الأمراء والتجار على المذهبين الشافعي والحنفي كل هذه العوامل أبعدت المذهب المالكي عن اليمن، يقول أبو زهرة:" والمذهب الشافعي هو الذي ينازع في الشعب اليمين الآن سلطان المذهب الزيدي." [5]

ثانيا: انتشار المذهب المالكي في وسط الجزيرة العربية (نجد)

منطقة نجد هضبة تقع في وسط شبه الجزيرة العربية وهي أكبر إقليم جغرافي في جزيرة العرب وفي المملكة العربية السعودية اليوم وترتفع ما بين 700 إلى 1500 متر فوق سطح البحر، وتشمل المناطق الواقعة ما بين جبال السروات في الحجاز غرباً إلى صحراء الدهناء شرقاً وتعني نجد في اللغة الأرض المرتفعة. [6]

تشير الدلائل إلى أن مذهب مالك كان هو السائد في وسط وشرق الجزيرة لسبب وجيه, وهو أنها محصورة بين الحجاز والبصرة وجنوب العراق, وكان الغالب على البصرة وجنوب العراق المذهب المالكي، فمن الطبيعي أن تكون نجد كذلك، قال القاضي عياض : "فكانت المدينة كلها على ذالك الرأي **(المذهب المالكي)** وخرج منها إلى جهات من الحجاز واليمن .. واستقر في بلاد العراق بالبصرة, فغلب عليها بابن مهدي (توفي 198) والقعنبي (توفي 221) وغيرهما ثم بأتباعهم ... وآل حماد بن زيد إلى أن دخلها بعض الشافعية فتشارك المذهبان جميعا... ودخل أيضا من أئمة هذا المذهب إلى بلاد فارس القاضي أبو عبدالله الرنكاني, ولي قضاء الأهواز وانتشر عنه هذا المذهب, وغلب على بلاد فارس مذهب داود ."[7]

هذا و يرتبط تاريخ نجد ارتباطا وثيقا بالتشيع على اختلاف مذاهبه من زيدية وقرامطة، فقد تأسست الدولة الأخيضرية في منتصف القرن الثالث للهجرة، واستمر حكمهم فيها أكثر من قرنين، تخلله حكم القرامطة وسيطرتهم على منطقة نجد،ومع هذا فإن غالب الظن أن

---

[4] التسهيل مقدمة المحقق 163/1.
[5] أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص 482.
[6] الموسوعة العلمية الكبرى.
[7] اقلاضي عياض ترتيب المدارك1/

منطقة نجد كانت تدين بالمذهب المالكي قبل ظهور هذا التشيع فهي في ذلك تبع للحجاز منبع المذهب المالكي باعتبارها منطقة محصورة بين الحجاز والبصرة وجنوب العراق. [8]

ولقد ظل المذهب المالكي هو المذهب السائد في منطقة نجد بعد سقوط دولة القرامطة بالأحساء سنة 470هـ على يد العيونيين، وليس أدل على ذلك من أن الأسر الحاكمة في كل من البحرين والكويت وقطر والإمارت تدين بالمذهب المالكي وهي في أصلها قبائل عربية هاجرت من نجد، مما يثبت أن منطقة نجد كانت على المذهب المالكي، وهذا على الرغم من محاولة بعض المؤرخين طمس هذه الحقيقة والادعاء أن المذهب الحنبلي هو المذهب السائد، يقول محقق كتاب التسهيل:" والذي يظهر لي أمام هذا التحيز أن المذهب السائد في نجد هو مذهب الإمام مالك، فهو مساو لمذهب أحمد في النصف الشمالي من نجد، أما النصف الجنوبي فالغالب عليه مذهب الإمام مالك، وذلك لعدة أسباب:

الأول: أن دولة الجبريين التي امتد حكمها في القرن التاسع والعاشر، والتي كان مركزها الأحساء كانت مالكية المذهب، وقد بسطت نفوذها على دول الخليج ونجد وكانت صاحبة السيادة فيها.

الثاني: نلاحظ أن أكثر الأسر التي نزحت من نجد إلى إقليم الأحساء والخليج كانت مالكية المذهب كآل خليفة، آل ثاني، آل الصباح، حكام البحرين وقطر والكويت، وكثير غيرهم ممن هاجر في القرن الثالث عشر والذي قبله.

الثالث: لحنابلة نجد تأثر بالمالكية حتى في الإفتاء، فنجد أحد أئمة الحنابلة وقضاتهم في مدينة الجبيلة المجاورة للعيينة قد أمر القضاة في زمانه بالرجوع في بعض المسائل إلى المالكية. [9]

ثالثا:انتشار المذهب المالكي في الأحساء:

تقع الأحساء في المنطقة الشرقية من المملكة السعودية، واسم الأحساء له مدلول طبيعي حيث يرى بعض المؤرخون على أن الأحساء جمع (حسي) وهو الأرض الصخرية المغطاة بطبقة رملية تختزن مياه الأمطار، بحيث يمكن الحصول عليها نقية عذبة بحفر عمق بسيط جداً ولكثرة الاحسية في هذا الموقع عرفت المنطقة بالأحساء، جاء في الجزء الأول من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي :"الأحساء : بالفتح والمد، جمع حسي، بكسر الحاء وسكون السين، : وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته، فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه"، وأضاف :"والأحساء : مدينة بالبحرين، معروفة مشهورة" [10]

وقد اختلف الباحثون حول المكان الذي الذي بنيت فيه الأحساء، فالبعض ذهب إلى أنها بنيت على أنقاض هجر، في حين ذهب البعض إلى أنها بنيت في مكان آخر. ويمكن

---

[8] مقدمة محقق التسهيل ص169.
[9] مقدمة محقق التسهيل 172/1.
[10] الموسوعة الكبرى

استيضاح شيء من تاريخ هجر اعتمادا على تاريخ الأحساء، فحينما يقال أن الأحساء شيدت بعدما تم تدمير مدينة هجر، فهذا يدل على أن هجر كانت مدينة قبل أن تصبح اسما للإقليم، وحينما يقال بأن الأحساء قصبة هجر فهذا يعني أن الأخيرة أصبحت اسما يطلق على كله بعد أن كانت تطلق على اسم المدينة فقط، وبهذا يمكن تفسير اختلاف الجغرافيين في هل أن هجر قرية أم مدينة أم اسم لإقليم البحرين كله، يمكن أن يفسر هذا الاختلاف على أساس الاختلاف التاريخي والزمني للجغرافي عند تناوله لمنطقة هجر، وهذا ما طرح عند الحديث أعلاه عن هجر، ويرى القلقشندي في كتابه صبح الأعشى أن الأحساء كانت تقع إلى الغرب من القطيف وأن الأخيرة كانت أكبر من الأحساء. [11]

كان المذهب المالكي هو المذهب السائد بمنطقة الأحساء لأنها منطقة محصورة بين الحجاز والبصرة، والأحساء قديما كانت تطلق على المدينة وعلى المنطقة المتمتدة من البصرة جنوب العراق إلى شمال سلطنة عمان، وقد يطلق على هذه المنطقة اسم البحرين، والمعروف تاريخيا أن الشيعة كان لهم وجود في الأحساء خاصة في القطيف، إلا أن هذا التشيع لم يؤثر في استقرار المذهب المالكي إلى أن غلب القرامطة على الأحساء وما حولها في القرنين الرابع والخام، فآذوا أهل السنة وقتلوا العلماء منهم والوجهاء من أهل البلاد, وعطلوا الجمعة والجماعات، إلى أن أشرق نور العيونيين عام 470 هـ عندما قضى البطل المجاهد عبدالله بن علي العيوني على آخر فلول القرامطة, فأراح الأمة الإسلامية من شططهم. [12]

والأرجح أن دولة العيونيين مالكية لأن المذهب السائد في تلك الأصقاع هو المذهب المالكي, بل إن اعتناء الدولة ببناء المساجد والمدارس ساعد على انتشار المذهب المالكي حيث كانت كما تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أنها أي الأحساء مركز من مراكز الدراسات المالكية المهمة في تلك الفترة, مع أن كثيرا من الأعراب كان متشيعا, لكن زال ذلك عنهم تدريجيا بعد انقراض القرامطة، امتد حكم العيونيين إلى منتصف القرن السابع حيث جاء العصفوريون وملكوا الأحساء وما حولها ما يقارب قرنا من الزمان, والأرجح أن العصفوريين مالكية كذلك. [13]

لكن في في عهد العصفوريين بدأت هجرات من بلاد فارس وخوارزم وتلك الجهات إلى السواحل العربية للخليج العربي إثر هجمات المغول, لأن هذه الجهة أكثر أمنا من غيرها كما أشار لذلك الدكتور الحميدان في بحثه عن إمارة العصفوريين، ومع هؤلاء قدم المذهب الشافعي وأصبح له وجود بارز في الأحساء وبعض حواضر الخليج، فبدأ المذهب الشافعي يزاحم نوعا ما المذهب المالكي. [14]

وعلى الرغم من مزاحمة المذهب الشافعي للمذهب المالكي، إلا أن السيادة كانت للمذهب المالكي لمساندته من طرف السلطة السياسية، ففي القرن التاسع ظهرت دولة آل جبر المالكية المذهب والتي استمرت قرنين من الزمان إلى نهاية القرن العاشر، وقد عملت هذه الدولة

---

11 الموسوعة الكبرى

12 مقدمة محقق التسهيل 177/1.

13 المصدر السابق نفسه.

14 المصدر السابق نفسه.

على ترسيخ المذهب المالكي بمنطقة الأحساء التاريخية أو منطقة البحرين فانتشر المذهب على طول سواحل الخليج العربي من البصرة إلى شمال سلطنة عمان، وليس أدل على اهتمام السلطة السياسية بالمذهب المالكي من أن بعض حكام دولة الجبريين كانوا على إلمام بالمذهب المالكي منهم على سبيل المثال:

أجود بن زامل العقيلي الجبري (910-821) ضم لملكه في الأحساء بقية دول الخليج ونجد, هو مالكي المذهب له إلمام ببعض فروع المالكية, واعتناء بتحصيل كتبهم, وكان شجاعا كريما فوق الوصف.

صالح بن سيف بن الحسين (...-931) كان مالكيا متبحرا في الفقه والحديث, وله مشاركة جيدة في الأصول والنحو, وكان محبا للعلماء والصلحاء, مقداما ,عادلا في ملكه. وقد زاد انتشار المذهب المالكي في الأحساء ودول الخليج ونجد في عهدها. [15]

وفي أواخر القرن التاسع بدأت هجرات جديدة من أهل السنة في فارس إلى دول الخليج نظرا لما لاقوه من تشريد وتقتيل من الدولة الصفوية, فأصبح للشافعية وجود ظاهر في حواضر مدن الخليج والأحساء، أما عن المذهب الحنفي فوجد له موطأ قدم مع دخول العثمانيين الأحساء في النصف الثاني من القرن العاشر، ومع هذا بقيت الغلبة للمذهب المالكي بمدينة الأحساء ومنطقة الأحساء أو البحرين،

ومن خلال رحلة العياشي التي قام بها للحج عام 1076 التقى بعالمين مالكيين من أهل الأحساء أحدهما لقيه بالمدينة, قال عنه: "الشيخ علي الضرير المالكي الأحسائي جاور بالمدينة مدة طويلة, وله بعض معرفة بمذهب مالك, وذكر أنه جلس لتدريس رسالة ابن أبي زيد وغيرها عند المنبر النبوي."

أما الآخر فلعله لقيه بمنى حيث قال عنه: "ولقيت الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالعزيز الحسائي من مدينة الأحساء وتكلمنا معه فوجدت له مشاركة حسنة في كثير من العلوم وصارت بيني وبينه ألفة, وأهدى إلي من ثمار بلدهم وهو أجود أنواع التمر."[16]

ظلت الغلبة للمذهب المالكي بالأحساء إلى أن قضت الدولة السعودية على حكم بني خالد وهم مالكية، فانتشر المذهب الحنبلي بكيفية أو بأخرى بمدينة الأحساء والبوادي المحيطة بها، أما القرى فيؤكد محقق كتاب التسهيل أنا لم تزل مالكية إلى وقت قريب.

رابعا:واقع المذهب المالكي بشبه الجزيرة العربية

يتضح من خلال ما سبق بيانه أن المذهب المالكي كان هو المذهب السائد بشبه الجزيرة العربية، وأن هذا المذهب العريق وكنتيجة لبعض المؤثرات السياسية والاجتماعية فقد غلبته وهيمنته على جزيرة العرب تدريجيا عبر مراحل زمنية، إلا أنه لم يفقد وجوده ببعض

---

[15] ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب 172/8.
[16] مقدمة محقق التسهيل 181/1.

المناطق من جزيرة العرب قوة وضعفا، مما يدل على قوة هذا المذهب لقوة أصوله طبعا، ومدى تمسك أتباعه به وشدة محافظتهم على مذهبهم، على الرغم من المضايقات التي يتعرض له هؤلاء إلى يومنا هذا.

يمكن تصنيف الوجود المالكي اليوم بالجزيرة العربية إلى صنفين اثنين:

الأول: أقلية مالكية: وتتركز هذه الأقلية بمنطقة الأحساء بالمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية، وكثيرا ما يرد ذكر هذه الأقلية من طرف المنظمات الحقوقية في معرض حديثهم عن حرية الفكر في المملكة السعودية وما تلاقيه هذه الأقلية من مضايقات، وللمالكية رغم أقليتهم بالأحساء وجود متجدر وحرص كبير على التعبد بمذهبهم، ويتجلى هذا التجدر والحرص في آل الشيخ مبارك وهم عائلة عريقة معروفة بسندها العلمي المتصل وهمتها العالية وحرصها على البقاء على المذهب المالكي الذي ورثته عن الأجداد، وآل الشيخ مبارك لا يبتغون عن مذهبهم المالكي عوضا ولا بديلا، وقد ساعدهم على هذا الثبات والبقاء على هذا المذهب السني، عراقتهم وأصالتهم وسعة انتشارهم وعلو شأنهم فضلا عن بروز علماء أعلام كبار من بينهم على مر القرون، ومن أعلامهم قديما وحديثا:

- **الشيخ مبارك بن علي بن حمد التميمي** نسبا الإحسائي بلدا المالكي مذهبا والمتوفى سنة 1230هـ وهو صاحب المختصر الفقهي المالكي المعروف بهداية السالك إلى مذهب الإمام مالك وقد قام بشرحه في كتابه الموسوم بتسهيل المسالك إلى هداية السالك.
- الدكتور عبد الحميد بن مبارك آل الشيخ مبارك وقد أعد أطروحة دكتوراه بجامعة الزيتونة وهي تحقيق لكتاب هام في الفقه المالكي ألفه **الشيخ مبارك بن علي بن حمد التميمي** نسبا الإحسائي بلدا المالكي مذهبا والمتوفى سنة 1230هـ هذه الأطروحة التي نشرتها دار ابن حزم في أربع مجلدات جاء الجزء الأول منها مشتملا على مقدمة وتعريف بالمؤلف وببلاده (**الإحساء**) والعصر الذي عاش فيه كما عرف بكتاب (**التسهيل**) وبين أهميته، وفي الباب الرابع من المجلد الأول استعرض صاحب الأطروحة مواطن **المذهب المالكي** وانتشاره في الجزيرة العربية (في الحجاز وفي اليمن الشمالي والجنوبي وفي نجد ووسط الجزيرة) وفي المبحث الخامس تحدث صاحب الأطروحة عن المالكية في (**الإحساء**) موطن صاحب الكتاب وكذلك المحقق وكل آل الشيخ آل مبارك قديما وحديثا، وتوسع المحقق في بيان مكانة ومنزلة (**الإحساء**) وسلطانها على كافة دول الخليج ونجد واستعرض مواطن المالكية في البحرين (**جزيرة أوال**) وفي قطر، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة، وفي سلطنة عمان، وقد اعتمدت في إعداد الورقة بشكل كبير على دراسة المحقق لمناطق انتشار المذهب المالكي بالجزيرة العربية.
- **الشيخ قيس آل مبارك** عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية، تم تعينه بهذه الهيئة اعترافا بالمذهب المالكي كمذهب أثبت وجوده في المملكة.

لا يقتصر وجود المذهب المالكي بالمنطقة الشرقية من المملكة، بل للمذهب المالكي وجود في الحجاز، خاصة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا على الرغم من التعتيم الذي مورس ولسنوات طويلة بغية طمس هذه الحقيقة، وإن كان هذا الوجود محصورا في بعض

البيوتات العلمية، ولعل أبرزها بيت العلامة محمد بن علوي المالكي الحسني رحمة الله عليه، ومن الشخصيات المهمة للموالك في البلاد الشيخ أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية الأسبق، ورئيس مؤسسة الفرقان للتراث في لندن.

ثانيا: أكثرية مالكية: وتتركز هذا الأكثرية بالكويت والإمارت العربية والبحرين وقطر، إذ يمكن الجزم أن نسبة المالكية بهذه الدول مجموعة تتجاوز 50 ./. وسبب انتشار المذهب المالكي بهذه الدول وهي ما يعرف تاريخيا بمنطقة البحرين، أن المذهب المالكي كان هو المذهب السائد من زمن انتشار المذاهب لكون هذه المنطقة منطقة محصورة بين جنوب العراق ومنطقة الحجاز، ولأن الدول التي توالت في الحكم على هذه المنطقة كانت مالكية كما مر بيانه، فبسطت هذه الدول نفوذها على الساحل الشرقي من الجزيرة العربية.

1- **الإمارت العربية المتحدة:** لفت المؤرخون النظر إلى بداية ظهور العلاقة بين المذهب المالكي وهذا القطر الخليجي الواقع على شاطئ الخليج العربي، فأثبتوا ـ في عدد من المراجع والمصادر والمقالات ـ أن بدايتها تعود إلى الدولة العيونية والتي كانت قائمة في المنطقة، وكانت تسير في قضائها وإفتائها على المذهب المالكي ،وجاءت الإشارة إلى ذلك في معرض الدفاع عن السدل في الصلاة والمشتهر بين سكان الإمارات وخصوصا في شيوخ دبي وأبو ظبي، لا سيما وقد كان تحليل هذه الظاهرة غير صحيح، وذلك بحسبانها من آثار مجاورة المذهب الإباضي وتقليده وقد كانت الدولة العيونية قائمة في الفترة من 469هـ-636هـ الموافق 1076م - 1238م.

وقبيلة بني ياس وشيوخها آل نهيان وآل مكتوم ـ قبيلة تتعبد بالمذهب المالكي وهي من أشهر القبائل على ساحل الخليج، وأعدادها كبيرة بالنسبة للقبائل الأخرى، وفيها بيوت الحكم من آل نهيان وآل مكتوم، يقول الدكتور عبد العزيز مصطفى الخالد المستشار في إدارة الفتوى والتشريع في وزارة العدل الإماراتية وعضو اللجنة التي صاغت القانون :إمارة أبو ظبي وإمارة دبي، القضاء يسير فيها على مذهب المالكية، بينما الإمارات الشمالية القضاء يسير فيها على مذهب الحنابلة، وجاء في القانون الاتحادي رقم 28لسنة 2005م في شأن الأحوال الشخصية في المادة الثانية الفقرة الثالثة: وإذا لم يوجد نص في هذا القانون يحكم بمقتضى المشهور من مذهب مالك ثم مذهب أحمد ثم مذهب الشافعي ثم مذهب أبو حنيفة.

وللإمارت العربية مجهودات جبارة في سبيل خدمة الفقه المالكي مما يدل على تجدر هذا المذهب من خلال إخراج عدد كبير من المصنفات المالكية، وعقد الملتقيات والمؤتمرات التي تعنى بالمذهب المالكي، كذا من خلال مراكز بحثية متخصصة في الفقه المالكي كدار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي التي أنشئت رسمياً بموجب القانون رقم (4 (لسنة 1996م , ومن أهم أهدافها :العناية بمذهب الإمام مالك تحقيقاً لكتبهوخدمة لرجاله، وما يتصل بذلك من دراسات وعقد لقاءات وندوات، مع العناية بكتب المذاهب الأخرى، ومن أهدافها أيضا: إحياء التراث الإسلامي، جمعاً وتحقيقاً ًودراسة مما يلبي حاجة المسلمين إلى تبصيرهم بدينهم، وحل مشاكلهم، وخلاصة القول أن الدار قد أسهمت في خدمة المذهب المالكي وكانت متنفسا رحبا وميدانا واسعا لأهل المذهب المالكي.

2-**الكويت:** كانت الكويت تبعا للأحساء أي البحرين، والأحساء كانت مالكية، فالذين تداولوا على حكم الكويت من قبائل كانوا على مذهب المالكية وآخر هذه القبائل آل الصباح، وآل الصباح قبائل

هاجرت من نجد ومنطقة نجد كما مر كانت على المذهب المالكي، وعليه فالمذهب المالكي مذهب عريق في الكويت، فقد ذكر الشاعر عبد العزيز العندليب عنه في مقال له في مجلة "صوت الحق " العدد الخامس مارس2001 م حيث قال:" من علماء الكويت الشيخ مسيعيد بن احمد بن مساعد بن سالم العازمي رحمه الله وهو ناسخ مخطوطة الموطأ للامام مالك عام 1074هـ -1664م بجزيرة فيلك الكويتية، وقد ذكر صاحب المقال أن من علماء الكويت المالكية الشيخ مساعد بن عبدالله الذي نال صبغة رفيعة في العلم وحصل عليه عام 1298 للهجرة1880) م على شهادة العالمية من الأزهر الشريف من مصر وهو احد الأعلام في قبيلة العوازم الكريمة العريقة في وجودها والمعروفة برجالاتها الافذاذ في كل المجالات وهو شخصية علمية عظيمة القدر وقد كان إلى جانب فقهه وعلمه ذا دراية بالأعشاب الطبية والعقاقير المختلفة وقد شفي علي يديه بفضل الله الكثيرون من المصابين بمرض الجدري في الكويت ودول الخليج الاخرى فهو عالم دين عامل بعلمه وطبيب نافع بفنه في آن واحد.

هذا وقد نص قانون الأحوال الشخصية في مادته 343 على الرجوع للمشهور في المذهب المالكي في كل ما سكت عنه القانون. [17]

3-المذهب المالكي بدولة البحرين: جزيرة البحرين تعرف تاريخيا بجزيرة أوال، وقد كانت هذه الجزيرة بين أخذ ورد بين شيعة وسنة، والراجح أن المذهب المالكي قد انتشر بها لما سبق بيانه في انتشار المذهب بالأحساء، فبعد القضاء على دولة القرامطة عادت الجزيرة إلى حكم أهل السنة من المالكية الذين اتخدوا من الأحساء عاصمة لهم على اختلاف دولهم من عيونيين وعصفوريين وجبوريين وعلى الرغم من سيطرة الصفويين عليها سنة 1039هـ إلا أنها عادت سنية مالكية عندما دخلها آل خليفة وهم مالكية من آل مذكور سنة 1197هـ،

4-المذهب المالكي بقطر: كانت قطر تابعة للأحساء فتأثرت بالمذهب المالكي، وقد حكم آل ثاني قطر وهو مالكية كما هو معروف، وقد ذكر محقق كتاب التسهيل أن القبائل المكونة لقطر جلهم مالكية[18]

الخاتمة: أثبت المذهب المالكي طيلة هذه القرون قدرته على مواجهات التحديات والصعاب، وصموده في وجه كثير من محاولات الإقصاء والإبعاد بقصد أو بغير قصد، ولعل السر في هذا الصمود قوة أصول المذهب المالكي وخصائصه المتميزة، ولعله ليس من المبالغة القول أن المذهب المالكي أضحى بالجزائر جزء لا يتجزء من هويتنا الوطنية، وعليه يتحتم على كل من يهمه الأمر من قريب أو من بعيد أن يسهم في ترسيخ هذا المذهب في نفوس العامة من الناس حفاظا على وحدة المجتمع الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

تسهيل المسالك إلى هداية المسالك:الشيخ مبارك بن علي الأحسائي تحقيق الدكتور عبد الحميد بن مبارك، طبعة مكتبة الإمام الشافعي بالرياض، الطبعة الأولى.

[17] موقع وزارة الأوقاف الكويتية – جواب عن سؤال:" المذهب الفقهي المعتمد في الكويت"
[18] محقق كتاب التسهيل 192/1.

ترتيب المدارك القاضي عياض،دار التراث بالقاهرة.

الديباج المذهب: ابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

تاريخ المذاهب الإسلامية أبو زهرة، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر.

شذرات الذهب ابن العماد اللحنبلي دار صادر بيروت لبنان.

الملخص باللغة العربية

إن المتأمل في مسيرة الفقه الإسلامي لا يلبث أن يشد انتباهه ظاهرة فريدة ومتميزة تخص المذهب المالكي، وهذه الظاهرة هي سعة انتشار المذهب المالكي وترسخه في المناطق التي دخلها على الرغم من مزاحمة بعض المذاهب الفقهية له، فلقد تمكن المذهب المالكي من اكتساح مناطق شاسعة من العالم الإسلامي، ومن هذه المناطق شبه الجزيرة العربية والتي منها تفجر وفيها انتشر، فقد كانت الغلبة للمذهب المالكي فيها طيلة عدة قرون، إلى أن زاحمته مذاهب فقهية أخرى، خاصة المذهب الشافعي ثم المذهب الحنبلي، وقد قامت بالجزيرة العربية دول حملت على عاتقها الحفاظ على المذهب المالكي ونشره في أصقاع الجزيرة، مثل دولة العيونيين والعصفوريين والجبوريين، ولقد كان لهذه الدول أثر كبير في القضاء على التشيع الذي كان منتشرا بشرق الجزيرة العربية، وعلى الرغم من انحصار المذهب المالكي بالجزيرة العربية كنتيجة حتمية لعوامل سياسية واجتماعية، حافظ المذهب المالكي على وجوده بالأحساء شرق المملكة العربية السعودية وله فيها علماء بارزون كآل الشيخ مبارك، كما ظل هو المذهب السائد في كل من إمارة أبوظبي وإمارة دبي، ولم يزل كذلك في دولة الكويت وقطر والبحرين، مع ملاحظة أن ما يعرف بالحركة السلفية في دول الخليج قد أثرت ويمكن أن يزيد تأثيرها بشكل سلبي على وجود المذهب المالكي بدول الخليج، فيفقد بذلك هذا المذهب السني الذي طالما وقف في وجه البدع والضلالات آخر معاقله.

ملخص باللغة الفرنسية

L'étude des Parcoures des différentes écoles juridiques islamique vas certainement étirer l'intention a un phénomène exceptionnelle propre a l'école malékite ce phénomène c'est l'amplitude de la propagation de cette école a travers le monde islamique en dépits de la rivalité des autres écoles parmi ces régions la péninsule arabe ou l'école malékite a vu le jour et a prédominer pendant plusieurs siècles jusqu'à l'apparition des autre écoles qui ont rivaliser avec l'école des malékite.

L'école des malékites a était officialiser politiquement par plusieurs états apparus dans la péninsule arabe ces états ont défendus cette écoles et ils ont répandus ces principes a travers une très grande régions de lest de la péninsule arabe mais au file des temps cette école c'est rétréci en faveur des autres écoles et cela est du a des raisons sociopolitiques en outre cette école a préserver son existence dans la régions est de l'Arabie saoudite et quelques états du golfe arabe comme les émirats arabes unis le Kuwait le quatare.

استمارة مشاركة

الاسم واللقب: يوسي الهواري

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر أ

التخصص العلمي: دكتوراه في الفقه وأصوله

المؤسسة العلمية: جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية.

العنوان الشخصي: 04 شارع ابن زرجب وهران.

العنوان الالكتروني:youssi.lahouari@gmail.com

الهاتف:0660300214.